المحاضرة الثالثة:التأسيس للاتجاه الفونولوجي(1).

***توطئة:**

يعود الفضل في تأسيس المدرسة وإيذاع صيتها في أوربا وخارجها إلى ثلاث رواد أساسيين هم: تروبتسكوي، ورومان ياكبسون، وأندريه مارتني، بحيث نشر كل واحد منهم أبحاثا مهمة في مجال الدراستين الصوتية والفونولوجية.

1/المؤسس الأول للاتجاه الصوتي الوظيفي:

*** تروبتسكوي**:Prince Nicolaï Trubetzkoy :

هو الأمير الروسي **نيكولاي تروبتسكوي، ولد سنة 1890** بموسكو وتوفي سنة 1938 بفيينا، سليل عائلة روسية من طبقة البنلاء والعلماء، انكب على الدراسات اللغوية وهو في الخامسة عشر من عمره.، زاول دراسته بجامعة موسكو، وسنة 1916 أصبح أستاذا بالجامعة نفسها" وبعد اندلاع الثورة ، اضطر الأمير إلى الهرب فالتجأ أولا إلى روستوف على نهر الدون، حيث منح كرسيا في الجامعة، ثم لجأ إلى القسطنطينية، وفي عام 1922 عين رئيسا لقسم تاريخ اللغات السلافية في فيينا، ومن ثم أصبح عضوا بمدرسة براغ".

يعدّ تروبتسكوي مؤسس علم الأصوات الوظيفي؛ لأن أفكاره تندرج ضمن المفهوم الوظيفي الذي نصت عليه مدرسة براغ في مجال الدراسة الصوتية، وفي سنة 1939 أُصدر كتابه "مبادئ الفونولوجيا" Principles of Phonology، وترجم إلى الفرنسية سنة 1949 بـPrincipes de Phonologie "، ومن المفاهيم الأساسية التي أرساها تروبتسكوي في مجال الدراسة الفونولوجية مايلي:

أولا/التمييز بين الفونتيك والفونولوجيا:

عمل تروبتسكوي على التفريق أو التمييز بين علم الأصوات العام(الفونتيك)، وعلم الأصوات الوظيفي؛ فالأول بالنسبة له هو علم مادي تجريبي يدرس أصوات الكلام، أما

الفونولوجيا فعلى العكس من ذلك تهتم فقط بالجانب الوظيفي لأصوات اللغة وكيف تؤدي الأصوات وظيفتها التواصلية من خلال قيمتها وموقعيتها في التركيب.

ثانيا/الوظيفة التمييزية للفونيمات:

حدد تروبتسكوي الفونيم من خلال وظيفته اللسانية بالدرجة الأولى، فهو بالنسبة له شيء وظيفي، ويجب أن يحدد قياسا إلى وظيفته التي يؤديها، بحيث لا تهمه السمات الصوتية للفونيمات في حد ذاتها بقدر ما تقوم به من وظيفة، في التواصل والتبليغ" ومعنى هذا أن الصوتة (الفونيم) أصغر وحدة تعمل على تحديد المعنى وتغيره داخل الكلمة الواحدة، فما يميز /قال/ عن /نال/ هو وجود الوحدة الصوتية /ق/" ، وأثرها في تغيير دلالة الكلمتين.

وهنا يجدر بنا طرح التساؤل الآتي: كيف يمكن التمييز بين الفونيم وتلويناته أو بدائله الصوتية (الألوفونات)؟ ومتى يمكن القول بأن صوتين ما يعتبران إنجازا لفونيم واحد أو لفونيمين مختلفين؟

لحل هذه القضية والفصل فيها، وضع تروبتسكوي قواعد لذلك، ندرجها على النحو الآتي:

***القاعدة الأولى:**

إذا كان الصوتان من اللغة نفسها والإطار نفسه، وبإمكانهما تبادل المواقع دون تغيير في المعنى فإنهما تنوعان صوتيان أو ألوفونان(phonemic variant) للفونيم نفسه، ومثال ذلك قولنا: قال، وآل، وكال في اللهجة الجزائرية. فاختلاف القاف في كل لهجة لا يؤدي إلى تغيير معنى كلمة (قال).

***القاعدة الثانية:**

إذا كان الصوتان ينتميان للغة نفسها والإطار (الموقع) نفسه، ولا يمكن لأحدهما أن يحل محل الآخر بدون تغيير الدلالة، فهما صورتان لفونيمين مختلفين، ومثال ذلك: /صار/

و/سار/، فالصاد والسين فونيمان مختلفان ليس لهما معنى في ذاتهما، وعملا على تغيير الدلالة في اللفظتين .

***القاعدة الثالثة:**

إذا كان الصوتان من اللغة نفسها، ومتقاربان من الناحية النطقية أو السمعية، ولا يردان أبدا في الإطار الصوتي نفسه، فإنهما يعتبران صورتان لفونيم واحد، ومثال ذلك صوت النون العربية الساكنة، وتعدد صورها النطقية بتغير الأصوات الموالية لها، نحو قولك: من بعد، من ثم، منه، من قال؛ فالنون الأولى كالباء شفوية، والثانية أسنانية، والثالثة حلقية، والرابعة لهوية.

ثالثا/التقابلات الصوتية:

لقد أضاف تروبتسكوي إلى مبدأ الوظيفة للفونيم مبدأ آخر هو مبدأ "***التقابل الصوتي***" (Oppoition Phonologique) الذي ينبني على المبدأ الأول (الوظيفة التمييزية).

ومعنى التقابل " هو وجود سمة Traitواحدة على الأقل، وقد تكون أكثر من ذلك، تميز صوتة (فونيم) عن غيرها من الصوتات، وهذا لا يعني عدم وجود سمات أخرى مشتركة بين الوحدات المتقابلة، وتعد السمات المشتركة أساس التقابل"

والسؤال الذي يطرح هنا: ما علة اعتماد التقابل الصوتي عند البراغيين؟

إن السبب وراء تبني أو اعتماد التقابل الصوتي كمبدأ للتحليل الفونولوجي" هو أن أصوات اللغة خلافا لأصوات الكلام ليس لها تحقق مادي ملموس، وما دام الأمر كذلك فكيف يتأتى لهم دراسة مثل هذه العناصر التجريدية التي ليس لها تحقق مادي؟ لم يكن أمامهم إلا أن يعالجوها بطريقة غير مباشرة، وبطريقة سلبية، وذلك عن طريق وصف الأشياء وتحديدها بتبيان ما يغايرها، أو ما يقابلها، أي تحديد الشيء عن طريق تحديد مغايره ومقابله"، ولذا فإن الوحدات الصوتية لا تتحدد إلا من مواقعها في الكلمات وما تؤديه من تغيير في معانيها.

وبصيغة أخرى، فإن التقابل" يعني الفرق بين (فونيمين) كأن يكون أحدهما مجهورا والآخر مهموسا (د/ت) ...، وبعبارة أخرى يقتضي التقابل "التضاد" إذ لا تجتمع سمات صوتين معا على السلب، ولا على الإيجاب، وإنما ينبغي أن تكون سمات الواحدة سلبية في حالة إيجاب الأخرى والعكس، شريطة أن تنتميا معا إلى مخرج واحد".

لقد حدد تروبتسكوي في مجال الفونولوجيا مجموعة من التقابلات التي لها فاعليتها القصوى في التحليل الفونولوجي، والتي تساعد على تحديد وظيفة الفونيمات، ونذكر من هذه التقابلات ما يلي:

***التقابلات الثنائية:**Oppositions Bilatérales؛ "وهي التقابلات الأكثر شيوعا عند تروبتسكوي؛ وهي كل صوتين أو أكثر في النظام اللغوي يفرق بينهما ملمح واحد".ومثال ذلك التقابل الثنائي بين الفونيمين :/خ/و/غ/، فكلاهما يوصف بأنه: حلقي، رخو وكلما ازدادت السمات الجامعة بينهم كلما كانت العلاقة متينة بينهما.

***التقابلات المتعددة الجوانب**:Oppositions multilatérales، وهو ذلك التضاد الذي يجمع بين الأصوات التي تكون بينها علاقة هشة، وسمات مشتركة ضئيلة تكاد تنعدم ، ومثال ذلك الزوجان/و/-/ي/ ، أو /a/-/i/ لا يشتركان في شيء سوى أنهما من الصوائت.

***التقابلات المتناسبة**:Oppositions Proportionnelles، ويحدث هذا التقابل إذا كانت السمة المميزة نفسها موجودة في الأزواج الصوتية الأخرى، فمثلا سمة الجهر سمة مميزة بين الصوتين /ت/ و/د/، وبين /ز/و/س/، /ع/و/ح/وغيرها من الأزواج الفارقة بينها في اللسان العربي.

* **التقابلات المنعزلة**:Oppositions isolées، وهو ذلك التقابل الذي لا يكون فيه سمة مشتركة بين زوجين من الأصوات، ومثال ذلك التقابل بين /ر/و/ل/اللذان يدخلان في تضاد أو تقابل منعزل بحيث لا يوجد في العربية من الأصوات ما يمكن أن يدخل معهما في علاقة تقابل.

وهنا يجدر بنا الإشارة، إلى أن هذا النوع من التقابلات تؤدي إلى وظيفة تمييزيه، "أما التقابلات التي ليس لها أي وظيفة تمييزية-لا يترتب عنها تغيير في المعنى-فتعتبر بدائل توليفية Variants combinatoires كما هو الشأن في بعض التقابلات الصوتية بين السين والصاد والزاي في هذا المثال من اللسان العربي: السراط/الزراط/الصراط بحسب بعض القراءات القرآنية"، وغيرها من الأمثلة في اللسان العربي.

*المراجع المعتمدة:

-جفري سامسون، اللسانيات التسابق والتطور، ترجمة، محمد زياد كبة، النشر والمطابع، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1417ه،.
- مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية، منهجيات واتجاهات، دار الكتاب الجديدة المتحدة.
- نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة.
-يحيى علي أحمد، التحليل الفونولوجي وفق منظور مدرسة براغ، صفحة في تاريخ علم اللغة، المجلة الأردنية في اللغة العربية المجلد5، العدد 4، شوال 1430ه، تشرين الأول 2009م.
-أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، ط2، 2005 .